# آلية الفن

## اتجاهات العصر في الآداب والفنون

لزهري التابعي الفاروقي

مرفوعة الى استاذي صاحب «العصور» : اسماعيل مظهر

### ١ — تمهيد

أصبح الايمان بالنشوء والارتقاء في عصر المدنية الحاضرة ، من المبادىء العميقة التأصل ، التي تخضع لسلطانها جميع الكفاءات العقلية بما شيدته من الحضارات منذ بدايتها الفطرية الاولى ، التي خرج منها الانسان حيواناً منحط الصفات ، دنيء النشأة ، ماضياً في سبل الارتقاء ومدارج النشوء ، الى ان بلغ الى هذه المدنية التي توشك ان تكون عصر انقلاب وثورة لم تبلغ بعد منتهاها. انتقل فيها الانسان من وداعة القرون الوسطى ، التي كانت آخر حلقة من حلقات الحياة الهادئة ، الى هذه الحياة من المدن حشدت فيها النفوس حشداً ، وتنازعت جوها نواطح السحاب المنتصبة كرؤوس قاترة من الجن وسط دخان المعامل القاتم !

تعتبر مدنية الآلة عصر انقلاب في تاريخ البشر ، فما يلابس هذه الفترة التاريخية من ظواهر تجمع بين الحياة الهادئة ، الخالية من ضجيج المعامل ، المنبثة في تضاعيف عقليتها غرارة الفطرة الاولى ، الى الحياة في اميركا وغرب اوربا ، وأصل ثقافتها العلم اليقيني ، وقوام حضارتها الآلة

وقد تناول عامل التطور في هذه الربوع التي أثمرت فيها المدنية جميع نواحي الحياة السابقة ، فنشأت الى جانب حضارة الآلة ثقافة تسابر في حيويتها ما يفرع اليه عصر المادة من الصور

فان كان للناس قبل أن يخلقوا الانسان الثالث[1] موسيقى ، فلهم اليوم موسيقى ، وان كان لهم أدب فلهم اليوم أدب ، وإن خلفت قرائحهم على مر العصور ثروة فنية في لوحات رفائيل وميكل انجلو وأضرابهما ، فللعصر الحاضر رسومه ولوحاته التي وقفت عليها أيدٍ تود من السرعة لو تنطلق في حركة آلية صماء

---

(١) « الانسان الصناعي » روبوت »

—٢—

إن في الثقافة الاشتراكية الحديثة أوضح مثال للفن الآلي ، المنبثة في تضاعيفه روح المذهب المادي . تبين هذا واضحاً في الموسيقى والرقص والأدب والرسم والنقش جميعاً

في روسيا السوفياتية سُحبت جميع صور الثقافة الاوربية ، لتحل محلها صور اخرى تستمد روحها من روح الآلة ، التي يُرمز اليها كأبعد مدى وصلت اليه عوامل الرقي البشري منذ العصور المظلمة . وتعتبر كأساس لمدنية المستقبل المثالية ، التي تراود عقول العلماء كحلم غامض في حياة يسودها السلام ، ويتخلص فيها الانسان من أوشاب الفطرة وغرارة الوحشية الاولى ، ليشيد صروح مدنيته الخالدة على أساس علمي ، يلوح عصرنا ومدنيتنا الى جانبها كما تلوح غرارة الانسانية الاولى الى جانب مدنيتنا الحديثة

يرجع أساتذة الثقافة الاشتراكية في روسيا إلى أن الفن السائد في الغرب ، إنما أله صبغة رأسمالية تعزز الفردية الاستقلالية وهذا يناقض في جوهره فلسفة الاشتراكية من حيث بناء الفردية الذاتية في الضمامة التي يمثلها « الكائن الاجتماعي »

ويرون ان ألحان الموسيقى التي تتناوح بين جدران الرأسمالية البرجوازية ، تُستقطر من أدوات تساعد على تكوين الشخصية الفردية ، او ترمز اليها . إذ أن موسيقيًّا فرداً يستطيع أن يستوحي «البيان» مثلاً نغمات عذبة دون الاشتراك مع عصبة لايتم عمل فرد فيها وحده . ثم ان حلقات الموسيقى في المسارح والاندية ، وبيوتات الآلية الحاكمة تغري المرء بالترف ، تساعد على رفاهية « الطالحين اجتماعيًّا » ! لذلك ابتدع مجمع موسكو الموسيقي أسلوباً حديثاً يساير روح الاشتراكية ، ولا يناقض نظرية « الكائن الاجتماعي » . وذلك بأن أُلِّفت أنغام الوحدة الموسيقية من أصوات اشبه شيء بصفير البخار ، ودحرجة العجلات ، وطنين المعادن في معمل من المعامل التي ترصع احياء المدينة

وبوجهة النظر نفسها الى أساليب الرقص ، استنتج النقاد انهُ لا يجب ان يشذ عن قاعدة الآلة ، او تتميز به الروح الفردية . ولدى وضع خطوات الرقص وحركاته ، روعيت في ذلك حركات مختلف أجزاء الآلة الميكانيكية ، التي ان تحركت فيها قطعة منفردة لم تأت بنتيجة ما . فهذه حلقة الرقص ، وهنا رمز المكبس ، وتمثيل للعجلة ، وأشارة الدفاع ، وتقليد للبندول وهكذا[1]

وبهذا تفادى أولو الامر وجود أي عنصر برجوازي نبيل ، وانما هو جو يلائم ما ينطبع في عقل العامل من صور الآلة والعمل الذين يحملان طيها بدور العصر الذهبي

هذه بدعة جديدة طالما يمرحها من تطور الموسيقى والرقص في سائر مدن أوربا وأميركا .

(١) Read Phillip Miller : The Mind and Face of Bolshevism, New-York City. Alfred. A. Knopf. 1928

إذ ان كلا الفنين قد بلغ من التطور درجة أصبحت فيها صورها أسرع وأبعد عن هدوء الطبيعة الذي تطالعهُ في ألحان شوبير وموزارت ويتهوفن مثلاً . يقول الفيلسوف عمانؤيل كانت : « ان أوجه التقدُّم كلما ازدادت سرعة قصرت عمرها » (١) وهذا صحيح بالنسبة للتيار الذي ضني على في الموسيقى والرقص في الغرب . ونعتقد ان مصير هذين الفنين قد توجههُ خطا التطوُّر على مرِّ العصور — اذا توغَّل الانسان في أغوار هذه المدنية الآلية الغربية — الى نفس التوجيه الذي يحاول علماء روسيا التكهن بهِ في صورة عملية قبل أوانه ، سابقين في ذلك عوامل الفشوء الطبيعية ، شأنهم في اصلاحاتهم جميعاً

غير انهُ لا يغرب عن بالنا أثر السياسة في هذا التوجيه . فمن الواضح الجلي ان زعماء الاشتراكية الحديثة في روسيا قد طفوا على الفن يتخذونهُ ذريعة للدعاية ، وأسلوباً يعهدون بهِ للثورة الثانية التي يعتبرونها خير وسيلة لاحداث الانقلاب الصناعي في تاريخ البشر ، والوصول الى عصر تسود الاشتراكية فيهِ بني الانسان وتسدد خطاهم الى آفاق العصر الذهبي ، وتحقق الجنة الدنيوية على الارض ، تلك التي وعدتنا بها شرائع السماء في الحياة الاخرى .

فلندع الآن إصلاحات نقاد الفن وأساتذته في الروسيا في كل من النقش والرسم والبناء اذ انها وليدة أولية لم تؤت القوة التي تستطيع بها أن تنهض الى جانب ما شيده الانسان منذ فجر التاريخ في هذا الحقل . أما أثر السياسة في هذه الحقول فيبيِّن الغرض منهُ عزل روسيا عن مدن العالم ، وتغذية العامل بلون واحد من ألوان الطعام . ولا يخفى ما ينتج هذا التحديد في آفاق الحياة العامة من تعصب وضيق في وجهة النظر قد يرجع بالاتحاد السوفياتي الى تمثيل نفس الدور الذي لعبته محاكم التفتيش والسلطات الكنسية في القرون الوسطى ، أو اعادة مظالم القيصرية التي لم يمض على محاربتها ربع قرن

ولنتوجه الآن شطر الغرب قليلاً ، لنتقصى على وجهة القوم في الادب

— ٣ —

يقال في تعريف فن الادب انه ضرب من ضروب التعبير عما يجيش في صدور مؤلف من شعور مهم ، وانه اذ يستجيب لها حين يلجأ الى الادب يعبر بها عما يجد من شعور . وهذا التعريف يقودنا الى العنصر الذاتي « Subjectivism » الذي نشأ منهُ المذهب الابتداعي « Romantic » وعكس ذلك أن يقال في هذا الفن انه وسيلة تأدية فكرة الى القارىء وهذا هو الجانب الموضوعي من الادب « Objectivism » الذي نشأ منهُ الاسلوب الواقعي « Realism » (٢) وهو المذهب الذي طغى على رومانيكية القرن الثامن عشر ، متسلحاً بمبادىء العلم اليقيني ، خاضعاً

(١) مقدمات المدنية الحديثة : لاسكيل ابركرمبي Lascelles Abercrombie : Criticism (٢)

لقوانين الرقي والنشوء ، متخذاً صبغة علمية خالصة عندما ظهر في أفق المعارف العامة علم النفس الحديث في مستهل هذا القرن. وسنرى في هذا البحث تطور الادب في الغرب ومركزه في هذه المدارس الاسلوبية في بعض أدوار الفن في اميركا وأوربا

يعرف علماء النفس اللغة بأنها أصوات حيوانية تصدرها الحنجرة اذا ما تأثر المتعضي (١) بأي مؤثر جسدي كالالم واللذة ، والخوف والغضب ، والحب والكراهية (٢) وبدون استكشاف طرق التفاهم بالكلام تطوراً كبيراً ، وحادثة من الحوادث التي وضعت حداً فاصلاً بين عهدين متباينين ، مرّ بها الانسان في سيرى تطورات الفطرة الرسيخة في أعماقه

والانسان انما يسجل فيما ينتج من الأدب أفكاره بالنسبة الى حالات جسمه ، وصفاته الطبيعية ، وليس في مقدوره ان ينظر في ظواهر الكون ونظامه نظرة موضوعية خارجة عن حواس الذات البشرية . اذ ان كل تعريف تنتجهُ قرائح المفكرين ، انما يعرف أصدق تعريف ذاتيتهم التي لن يستطيعوا أن يتذكروا سبيلها ، لانها متغلغلة في تضاعيف كيانهم البشري

بهذه النظرة الموضوعية (٣) أجرى العلماء عدة تجارب على الحيوانات وانتهوا الى ان كل ظاهرة عقلية ، انما هي انعكاس ذاتي ، ورد فعل لتأثر الحواس باحدى المؤثرات الخارجية (٤)

وهكذا تهدم هذه النتائج العلمية العقائد السائدة حول الوحي والالهام ، وتردها الى حظيرة التفسير المادي ، التي يدخل ضمنها كل تهيج روحي او وحي مما فوق العقل ، فقد يكون سببهُ وضع خاص يتخذه الجسم أو حالة معينة يتأثر بها الجهاز العصبي ، وتسميها الحواس . وينتهي العلم بأنهُ في الامكان أن تساد هذه الحالة الروحية ، التي يعتقد السواد الاعظم انها هبة تخضع لمشيئة الآلهة ، أو عوامل المصادفة بواسطة هذه المؤثرات التي يصبها عالم « الموضوع » على عالم « الذات » ! (٥)

فان كان هذا حقاً ، فالادب لم يعد وحياً تلهمهُ السماء بضعة نفر من الناس ، وانما هو — الى حدٍّ ما — علم له قواعد ومهيجات يُلِمّ فاهما الطالب في دراسته كأسس تستمد عناصرها من « الفسلجة » Physiology ، فما هي الآن يعي الطرق التي يسيطر بها على حالات جسمه ، ليتبع بهذا

---

(١) المتعضي هي الكلمة التي وضعها الجسم القوي لمعنى عضوي

(٢) The Mind and Face of Bolshevism. P. 221. New—York 1923. Published by Harper & Brothers N. Y. & London.

(٣) تستعمل كلمة « موضوعي » هنا استعمالا فلسفيا تعني به العالم الخارجي ، دون ان يكون لذات الانسان او ميوله علاقة به . ومن الواضح ان استقراء الحقائق الموضوعية ممكن في التجربة والمشاهدة ، وقد تقدنا انه عسير الى حد الاستحالة في الاستنتاج والتفكير المجرد

(٤) لا يكاد يخلو كتاب في علم النفس من أمثلة التجارب على الحيوانات وخاصة الكلاب . أما صاحب هذه التجارب فهو بالوف فالما . وهو عالم روسي توفي منذ سنتين تقريبا

(٥) Ways of Behaviorism. John. B. Watson. Ph. D.

التفاعل المادي الصفيق ، وحي الشاعر انكلس في اعماق روحه الهاجعة . فينتج أن شاء وكما يشاء !

قد تلوح هذه النظرة المادية في الادب حقيقة علمية لا سبيل الى نقضها ، ورغم انها لا تزال بعيدة عن حيز التجربة الموضوعية المتقنة — شأن كثير من نظريات علم النفس الحديث — الا ان كثيراً من التجارب الطبية الحديثة تعزز وجهة نظر أصحاب هذا المذهب المادي مثل السلوكيين Behaviorists الذين ينكرون وجود العقل والارادة واللاشعور وغيرها مما عجز العلم بوسائله المعروفة عن إثبات وجودها ، فاعتبرها فرضاً ضرورياً . وهم يفسرون التفكير مثلاً بأنهُ اهتزاز دقائق اللغ المادية ، يشترك فيه المجموع العضلي كلهُ ، كعضلات الحلق والصدر والرجلين [1] وهذا حقيقي بالمشاهدة والاختبار

في هذا الوقت الذي يكتسح فيه تيار العلم مظاهر الادب ويكشف بأعاصيره الستائر عن الشعور وحقيقة الالهام ، نجد ان الكثرة المطلقة من الشعراء لا تزال تعتقد بالوحي الشعري ، وتتاضل عن هذا الرأي ، ولا تجد الغضاضة الذليلة بأن ترضى قانعة بمشيئة المصادفة والوحي

على ان الادلة قد توافرت وأثبتت التجارب بأن الشعر الذي يبلغ المنزلة الرفيعة من الجودة الفنية ، التي تملي على القارىء أثر الاحساس النفسي ، انما هو في الحقيقة من جهد التفكير العميق ، والارادة الدائبة ، فنحن نخطىء كثيراً إن حسبنا أن الشعر وحدة تخضع لشياطين الشعراء ، وموهبة لا تسيّرها مؤثرات العقل والجسد

ولقد يكون من الخير أن نلزم الصمت ، لنتقبل رأي كاتب فرنسا الكبير بول فالري ، عضو المجمع الفرنسي ، في فقرات من احدى محاضراته النفيسة . قال شاعر فرنسا الكبير :

« ينظم الشاعر حين يفيض قلبه ، ويمتلىء صدره ، فينطلق لسانهُ ويقول شعراً . ولكم وددت أن يكون هذا الرأي الغير صحيحاً سديداً . إذن لتحمّل الشاعر تكاليف الحياة ، ورضي المحرومون بمرور الشتاء . ولكثر التريحة الفنية قد تتبلد وتتظلم حتى لا تعي امراً ، ولا تنطق حرفاً . فمن يقول هذا الرأي الغير يخضع الشاعر لسلطان الندر العابث . وكذلك يغدو الانتاج الشعري مرهوناً بالمصادفة المواتية والنسمة المشرقة ، أو متصلاً بالوحي العالي والموهبة الخارقة . ولست أعلم افتئاتاً على حرمة الشاعر واستهانة بكرامته كهذا الرأي العاثر ، يجعله منفعلاً لا فاعلاً ، وحاكياً أميناً يفرغ ما يلقى اليه من الكلام ، فان كان شراً قالوا هذا من عنده ، وان كان خيراً قالوا هذا من عند الله !

« لقد يمتاز الشاعر من بين الناس كافة بسطات مشرقة خاطفة تعصف بذاته وكيانه عصف الريح بفروع الشجر ، فتفتح لديه خنادق نفسه ويطل على دنياه الكامنة ، ويلمح عجائب الروح

(١) Ways of Behaviorism Ch. 2.

تلك لحظات ثمينة تضيء ما اختبأ بين اللحم والدم ، ونبعث من المعاني والصور ما لا يفهمها او يقدرها الا الشاعر وحده ، لانها مختلطة بأوضار المادة ، صادرة عن اسرار الظلام . وهي معان وصور لا تثبت للمنطق الظاهر ، ولا تلين للبيان الشعري . وكل ما في الامر انها قطع تتناثر من أعماقنا على حالها الطبيعي ، كما تتناثر الاحجار الكريمة من جوف البركان . ولقد ينبغي أن نطرح الاوشاب ، ونحتفظ بالعنصر الصالح ، لتذيبهُ في قالب جديد ، وتقدمهُ جوهرة خالصة للناس

« فالذين يؤمنون بالوحي الشعري يقولون العمل والابداع ، ويرفعون بالشاعر وسيطاً تملي عليه القدرة ما تشاء من ضروب القول ، وألوان المطالعة . وما لمثل هذا يُسخَّر الفن . . . ويخلق الشعراء ! » اه [1]

— ٤ —

يبني العلماء على النظرية المادية السابقة في الادب ، نتائج لها خطورتها وقيمتها الادبية . فإن مجاراتنا عما يتولد من أصحاب هذه النظرية بالذين ! . . ألفينا العلم على الضفة الاخرى ، ينبئنا بأنهُ يحسن بالانسان المتمدن — حين نشوء صور جديدة من الحضارة — ان يجدد اللغة التي يقتنيها كرَّ العصور ، ليساير موكب التطور والارتقاء ، السائر بخطى سهلة خفيفة ، وليسهل لنشوء وحدة ثقافية تتناصر مع صور الحضارة المادية في بناء مدنية كاملة باقية [2] . وقد يلمس هذه الحاجة الاقوام الذين يعيشون في مجتمعات تختلف اختلافاً كلياً عن بيئات أجدادهم الذين ورثوا منهم اللغة فيما ورثوا من اسباب الرقي

وتجديد اللغة انما يكون بطرح الالفاظ الميتة ، التي كانت تعني شيئاً لدى اجدادنا بحسب مقتضيات مدنيتهم ، واستبدال بها ألفاظ تتحت بمقتضى حاجات العصر ، وتعني لاهله شيئاً بحسب ما يشعرون . ولا نذهب في تحديد الطرق لنحت الكلمات او وضعها وترجمة المصطلحات العلمية ، فهذا من شأن المتخصصين . وانما يشعر بهذا النقص في مستهل نهضة الشرق الحديثة ، كل من حاول ان يترجم عن إحدى اللغات الاوربية الحية كتاباً في الفلسفة او علم النفس او علم النبات او علم الحياة ، الى غير ذلك من فروع المعرفة الانسانية ، التي يعتبرها العلماء وحدات عضوية تخضع لناموس النشوء والارتقاء بمعنى نشوء فروع جديدة من المعرفة على مرِّ الزمن ، وتطورها الى حالات من التنافر والتغاير الجزئي ضمن نطاقها المتحد . اما بقاء اللغة بمفرداتها على سير الزمن ، فشكل من اشكال النبات الذي لا يتفق مع طبيعة الحياة المتحولة ابداً

فكل نظرة لاتعتبر اللغة كائناً حيًّا قد يتحلل ويذبل اذا لم تمده على الدوام بدم فتي جديد انما هي عامل تقهقر رجعي يعوق سير الرقي ، ويذر اللغة كالمرآة الصدئة قد خط عليها الزمن

(١) مجلة الرسالة عدد ٩٤ The Mind and Face of Bolshevism. Ch. 6. [illegible]

أشباح الماضي الجامدة ، فهي مرتسمة عليها لا تريم ، لتعكس في كل عصور التقدم صورة واحدة للعصر الذي نشأت فيه . فكأنما تكلست أطرافها وغاضت حيويتها

وقد أدرك علماء الغرب هذه المبادىء الاولية لازدهار الثقافة ، فتناولوا بالتأليف والتصنيف والترجمة معاجم اللغة في العلوم والآداب والفنون ، واستطاعوا ان يجاروا بثقافتهم ثورة الانقلاب الصناعي . وكونوا مع بدايات العصر الآلي ، وحدة أدبية تعبر عن روح هذه المدنية الغربية ، وتسمو بسمة لها روعتها . وسنحاول فيما يلي ان نقدم صورة من الشعر الاميركي الحديث لنعطي للقارىء لمحة سريعة عن تطور الآداب ، وتأثرها بحضارة القرن العشرين الآلية[1]

— ٥ —

الشعر قطعة من روح العصر ، وهو مجموع تراكيب كيماوية منسجمة الالوان متحدة العناصر ، تتذوقها الأذن الموسيقية بقدر ما في الشعر من عذوبة الجرس ، ويعيها الوجدان فيتأثر بما تبعثه من ضروب المعاني ، وما توصله من صور التعبير . والعاطفة الشعرية انما هي الاحساس بهذا العالم الذي يجرده الشاعر من نفسه ، فيعيش فيه لحظات طوالاً او قصاراً ، يتجه فيها الى ما يملأ خياله من الرؤى ، عارضاً ما أولته الطبيعة من حس وادراك للانفعال بالمؤثرات الخارجية والاستجابة لها . فاذا استطاع ان ينقل الى ذهن القارىء او السامع ما يملأ ساحة شعوره المبهم ، أو يجسم في حدود اللغة هذه الاشباح والرؤى التي تبعثها في نفسه مؤثرات الطبيعة او مجالي الحياة ، كان بذلك أديباً مفنّناً يمتاز باستجابته لداعي الاحساس الفطري وهي الخطوة الايجابية التي تميز الشاعر المنتج عن القارىء العادي[2]

فهل للشعر اذا قرأت « الشعر الحديث » بأن تبين يوصل اليك في هذه العبارات القصيرة واللمحات السريعة ما يجول في خياله من الصور ؟ قد تعني وتتأنى قصيراً او طويلاً في شيكاغو ، فتنساب في تيار البشرية الجائشة ، وتتأملها كالبحر الخضم المائج ، المسرع على أرجيه . مجلاته

وقد تتقاذفك أمواجها فتسلمك فراغك وشخصيتك ، وتدمجك في صاحبة كثيفة من البشر . وتصرفك عما تحرص عليه من هدوء البال وسحر الخيال ! فهل للشعر اذا رفعت مع الشاعر على توقيع قصيدة ، أنك في شيكاغو حقاً . . . يزعجك ضجيج دواليبها بقدر ما يروقك أسلوب الشاعر في التعبير ؟ هل تعيش ولو لحظات خاطفة في هذا الجو الفني الذي يتولد في أعماق الشاعر من تقلبه بين ضروريات حياته ومظاهر مدنيته ؟ !

قد تقرأ قصيدة لاعرابي يعيش في البادية . فيجرك فيها انسجام الموسيقى في البحر الذي يختاره لقصيده ، وفي الكلمات التي ينتقيها ليوصل اليك الصورة التي تراود عقله ، وفي الاسلوب الذي يفهم به الامور والاشياء لينقلها اليك ، كأنما هي لوحة فنية قد اكتملت فيها من يمها ويسارها

(١) اقرأ هذه المختارات في « حديقة المقتطف » في هذا العدد (٢) Lasqeiles Abercrombie : Criticism

الشاعر ، وتجري على لسانه . ولكنك ترى في الشعر الحديث أنهُ لا يقيد بوزن او قافية ، وأنى لشعر القرن العشرين ان يوضع في رداء خيط قبل ان تنشأ المدنية الحاضرة ، واقتصر على وضعه متخلفاً عن موكب النشوء والارتقاء . وانما هو كلام ينحدر من قلم الشاعر كما تنحدر الجنادل من القمم الشاهقة ، يستمد صلابته من العلم . ويبلغ دقة الوصف في عبارات موجزة مريحة الصورة ، متوثبة المعنى ، حتى لكأن الشاعر ينظم حين ينظم مسرعاً ، حريصاً على ان لا يمنح لقصيدة من الوقت فوق ما ينبغي ! . . . وأنت حين تقرأ لشاعر حديث ، تجد الشعور الذي يوحي لك ان الشاعر يكابد في انتزاع الكلمات التي يعبر بواسطتها عما يتوثب في نفسه من المعاني ، ويجد غير قليل من الجهد حين يبحث بين اوضاع اللغة المتوارثة عن رداء يضع فيه بنات افكاره وبكارى معانيه . ولو قد اطلقنا لهُ حرية القول ، لتحرر من القيود التي يتواضع عليها الناس ، ولا نتثر لديه عقد اللغة ، ولأنشأ أوضاعاً جديدة من الكلام تحسب انها في روعة مظاهر حياته ومدنيته . وأنت تطالع في هذا الشعر التغني بالآلة غناء قد يجمد حيناً حتى يبين كأنهُ كلمات مرصوفة لا تمت الى الشعر بسبب ، وقد يسمو أحياناً فيلقي في روعك ، في روع الشاعر من الاحلام ، وروعك ما يبعث فيه من صور فنية يستلهمها الشاعر من دوي المصانع ودخانها !

ونجد في هذا الشعر أيضاً قرب غور معانيه ، وندرة البديع اللفوي ، أو التعقيد في المعنى ، وانما الشاعر يتسلسل مما يحوطهُ من الماديات الى آفاق بعيدة من الخيال الشعري . ولكنك واجد فيه على كل حال ثورة صناعية على أمنا الطبيعة ، التي تقدم لنا اروع صور الفن في دوح وانهار يهزه النسيم فيترنح من الهواء كأنما فيه نشوة من الطرب ! أو ترنيمة غدير ينساب بين الصخور فكأنما تتردد في خريره معاني الطبيعة الهادئة او وحي التاريخ السحيق . فتثور عليها طاغين وحي المادة ، وما تبثهُ من آفاق محدودة ، أو أنغام جامدة . غير ان الجمال الفني في الشعر كما يكون وليد الطبيعة أو كما يكون في سر أعماق النفوس وحصد ثمرات حقل الشعوب ، فانهُ يكون في الشعر الحديث في كل عصر ، وهو رهن نشوء صور جديدة من ألوان الحضارة المادية . إذن فنحن لا نجد ، حين نقرأ هذا الشعر ، صورة النفس البشرية الخالصة من أوضار المادة وضرورات الحياة بل نجد النفس التي طغت عليها قواسر العيش ، فتنت بهذا الكلام عبوديتها للآلة وذهلت للمادة الصفيقة ، بعد أن كانت صفحات الطبيعة هي المصدر الغالب لكل ما أنتج العقل البشري من شعر

وقد لا نستطيع لاول وهلة أن نتذوق مقاطع الشعر الحديث ومعانيه لاعتبارات كثيرة أهمها اختلاف البيئة وجدة هذا التوجيه ، وقد نراه خالياً من الانسجام الموسيقي ، غثاً بارداً . لاننا نود ان تلو الشعر لفظاً جميلاً ، يستسلم في اتساق متشابه قوي رائع ، ونحتفظ به في ذاكرة وتعيده لفظاً جميلاً أبداً ، تهضمهُ النفس الواعية ، ثم لا تبالي ان هي ملت ، أو حزنت ، أو ثارت ، ما دام في انشادها رنة الفرح ، أو أنَّة الالم ، او نزوة الهوى !